دروس البلاغة

تأليف

حفني ناصف — سلطان محمد

محمد دياب — مصطفى طمُّوم

شرح

فضيلة الشيخ العلَّامة اللُّغوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)

اعتنى بهما

محمد بن فلاح المطيري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة المُعتَنِي

إنَّ الحمدَ لِلَّهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أمَّا بعدُ[4]:

---

(١) آل عمران.

(٢) النساء.

(٣) الأحزاب.

(٤) ما سَبَقَ هي خُطبةُ الحاجَةِ التي كان النبيُّ ﷺ يَفتتِحُ بها خُطَبَه، وهي بليغةٌ في نفوس المُتَّقينَ عظيمةُ الوَقْعِ مُذكِّرةٌ؛ بما اشتملت عليه من الوصية بتقوى اللَّه والاستعانة والاستعاذة به وحده، وحَمْدِه وطَلَبِ المغفرة منه سبحانه، وأنَّ الهدايةَ لا تكون إلا بتوفيقٍ منه عزَّ وجلَّ، وأنَّ الفوزَ الحقيقيَّ لا يكون إلا بطاعة اللَّهِ ورسولِهِ.
ويرجع الفضلُ - بعد اللَّه عزَّ وجلَّ - في نشر هذه السُّنَّةِ بين المسلمين وإحيائِها في =

فليس ثَمَّةَ وِعاءٌ مُلِئَ فصاحةً وبلاغةً وبياناً أَجْمَعَ مِن كتابِ اللَّه عزَّ وجلَّ، وليس في غابِرِ الخَلْقِ إلى أن تقومَ الساعةُ أَبْيَنَ معنىً وأَفْصَحَ لَفْظاً وأَبْلَغَ قَصْداً في نفوسِ سامِعِيهِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، وليس في العُلومِ الرَّديفةِ عِلمٌ يَهَبُ النفوسَ مِن كُنوزِ الوَحْيَيْنِ سِحْراً وتِبْراً أَكْرَمَ نَفْساً مِن عِلْمِ البلاغةِ والبيانِ.

ولَمَّا كانتِ الحاجةُ إليه عزيزةً، وبُغْيَةُ النفوسِ إليه عظيمةً؛ أَوْحَىٰ مِدادُ العارفينَ به إلى الصُّحُفِ ما أَوْحَىٰ، فجاءَتْ به الأسفارُ الجَليلةُ بما جادَتْ به العربيةُ مِن فَيْضِ جواهِرِها النَّيِّرَةِ، وليس هذا مقامَ ذِكْرِ التَّليدِ منها والجديدِ، غيرَ التوقُّفِ عند هذا المتنِ الفريدِ، الموسومِ علامةً بـ «دروس البلاغة»، لِمُؤَلِّفِيهِ: حفني ناصف، ومحمَّد دياب، وسلطان محمَّد، ومصطفى طمُّوم[1].

وهذا المتنُ - على صِغَرِهِ - حَظِيَ بعنايةِ مَن شَرَحَهُ مِن المشايخ والعلماء، فمنهم عَلَمُ الدين محمد ياسين بن عيسى الفادانيّ الأندونيسيّ تحت عنوان: «حُسْنُ الصِّياغةِ شَرْحُ دروس البلاغةِ»، والشيخُ أبو الأفضال محمد الدامفوري تحت عنوان: «شموس البلاغة».

وقد ذَكَرَ لي شيخُنا د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي - حفظه اللَّهُ - أنَّه دَرَسَ هذا المتنَ سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في الجامعةِ الرحمانيةِ في مدينةِ (بنارس) شمالَ الهندِ التابعةِ للجامعةِ السلفيةِ، وأنَّه ما يزال يُدَرَّسُ هناك.

= عصرنا هذا إلى الإمام المحدِّث العلَّامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ)، الذي ضَبَطَ ألفاظَها وجَمَعَ طُرُقَها وخَرَّجَها ودعا إلى التمسُّك بها في رسالتِه المشهورة: «خُطبةُ الحاجةِ التي كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُها أصحابَه»، فرَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً.

(١) لم أحرص على تتبُّع تراجمهم، هذا إن وُجِدَ لبعضهم ترجمة، ولعلَّ أشهرَهم هو حفني ناصف المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٨هـ.

ومِن شُرَّاحِه مَن نحن بصَدَدِه الآن وهو فضيلةُ الشيخ العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، فللشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عنايةٌ بالِغةٌ باللُّغةِ العربيةِ وعلومِها، ولا أدلَّ على ذلك مِن شَرحِه لألْفيَّةِ ابنِ مالكٍ في النَّحوِ والصَّرْفِ، و- مِن قبلُ - متنِ الآجرُّوميَّةِ، بالإضافةِ لشرحِه منظومةَ «الدُّرَّة اليتيمة» في النَّحوِ للحضرميِّ، وكتابتِه لقواعدَ في الإملاء، واختصارِه لـ «مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب» لابنِ هشامٍ الأنصاريِّ، وشرحِه لعلومِ البلاغةِ العربيةِ هذه.

ومؤلَّفاتُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللَّهُ ودروسُه زاخِرةٌ بذِكْرِ المسائلِ اللُّغويَّةِ والنَّحويَّةِ والشواهدِ الشِّعْريَّةِ، فلا تكادُ تقرأ للشَّيخِ مؤلَّفاً، أو تَسمَعُ له شرحاً مُسَجَّلًا؛ إلا وجدتَ الأعاريبَ العديدةَ، والتوضيحاتِ الكثيرةَ لغريبِ الكلماتِ لُغَةً ودَلالةً.

وشرحُ البلاغةِ هذا ليس مُحرَّراً بخطِّه رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنَّما هو سلسلةُ دروسٍ في شرحِ هذا المتنِ ألقاها رَحِمَهُ اللَّهُ على طلبته[1]، وهي مُسجَّلةٌ في خمسة أشرطة، قمتُ بتفريغِها ووَضْعِ كلِّ جزئية من الشرح في موضعه المناسب من المتن كحاشيةٍ له.

* ويَجدُر هنا التنبيهُ إلى أمورٍ تتعلَّق بشرحه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- قد يَستطرِد رَحِمَهُ اللَّهُ أحياناً في معنى بيتٍ أو جزئيةٍ ما بعيداً عن الشاهد المطلوب.

٢- هناك بعض الجزئيات أو رُبَّما الفقرات لم يَقُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ بشرحها؛ إما لوضوحها أو سهواً منه رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه في ١٤/ربيع الآخر/ ١٤١٩هـ، وانتهى منه في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، وله رَحِمَهُ اللَّهُ شرحٌ قديمٌ لكنَّ تسجيلَه غيرُ واضحٍ كثيراً.

٣ - أحياناً رَحِمَهُ اللَّهُ يأتي بلفظةٍ عاميَّةٍ، فعندئذٍ أقوم باستبدالِ الفُصْحَى بها، كما استبدلتُ (حَسَناً) بـ (طَيِّب)، و(لماذا) بـ (ليش) ونحو ذلك.

٤ - كثيراً ما يُعبِّر رَحِمَهُ اللَّهُ عن المؤلِّفينَ بصيغةِ المُفرَدِ بقوله: (المؤلِّف).

٥- قد يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أحياناً معلومةً غيرَ مُكتمِلةٍ أو يُخطئ فيها سهواً منه، ففي هذه الحالة أقوم بإلغائِها، وأحياناً يسأل سؤالًا ثم يجيب عنه فأقوم بالربط بينهما بحذف أداة الاستفهام وتغيير ما يلزم، وأحياناً تحتاج العبارة إلى تعديلٍ بسيطٍ بحذفِ كلمةٍ أو إضافتها، وأحياناً يُكَرِّرُ بعضَ الجُمَلِ فأُثْبِتُ أَسْلَمَها، وهذا كلُّه ولِلَّهِ الحمدُ قليلٌ ويَسيرٌ، فمن المعروف أنَّ مقامَ التدريسِ والارتجالِ ليس كمقامِ التحريرِ وضَبْطِ المقالِ، ويَشهَدُ لهذا ما قاله[1] فضيلةُ الشيخ العلَّامة المحدِّث عبد المحسن بن حمد العَبَّاد - حفظه اللَّهُ- متحدِّثاً عن مؤلَّفاتِ الشيخِ ابنِ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومؤلَّفاته تنقسم إلى قسمين:

١- قسم حرَّره بنفسه وأَخْرَجَه بعد تحريره واطمئنانه إليه.

٢- وقسم لم يُحَرِّرْه، ولكنَّه استُخرِجَ من الأشرطة وطُبِعَ، فهذا مأخوذٌ من دروسه ومن الأشرطة التي اشتملت على دروسه ولكنَّه لم يُحَرِّرْه، ولكنَّه لا شكَّ أنَّها مفيدةٌ وعظيمةُ النفعِ» اهـ.

*** عملي في هذا الكتاب:**

١- ضبطُ كلٍّ من المتن وشرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالتشكيل وعلامات الترقيم، غير أنَّ التشكيلَ في شرح الشيخ جاء بقدر الحاجة إليه.
٢- عزو الآيات الواردة فيهما.

(١) من محاضرة ألقاها حفظه اللَّه على طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة بعنوان «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

٣- تخريج الأحاديث والآثار الواردة فيهما تخريجاً مُختصَراً.

٤- تبحير الأبيات الشعرية الواردة فيهما.

٥- عزو الأبيات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قائليها.

٦- إثبات المتن في الطبقة الأُولى، ثم شرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الطبقة الثانية، ثم ما كان من تعليقٍ مِنِّي في الطبقة الثالثة، **ويجب التنبُّهُ هنا إلى أنَّ الحاشية ذات الأرقام هي من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنَّ الحاشية ذات النجوم هي تعليقٌ لي.**

٧- بالنسبة لأسئلة الطلبة بعد كلِّ درسٍ فإنِّي أَثْبَتُّ منها ما كان واضحاً ونافِعاً، ووضعتُها في المكان المناسب لها من المتنِ أو الشرحِ.

أمَّا قَبْلُ، فإنَّ الشُكْرَ دَيْنٌ أيَّ دَيْنٍ، وليس أحدٌ في هذا المقامِ بعد رَبِّ العِزَّةِ بأَولى به من أُستاذَيَّ الفاضِلَيْنِ: أ.د. موسى ربابعة، وفضيلة الشيخ خيري وربي، حَفِظَهما اللَّهُ، اللَّذَيْنِ درستُ عليهما البلاغةَ العربيةَ، فجزاهُما اللَّهُ خيرَ الدَّارَيْنِ.

واللَّهَ أسألُ أنْ يَجزِيَ فضيلةَ الشيخِ العلَّامةِ محمَّدِ بنِ صالحٍ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ خيرَ الجزاءِ، وأنْ يُوَسِّعَ له في قبرِه، وأنْ يُعْلِيَ درجتَه في الآخِرة، ويحشرَه يومَ القيامةِ مع الذين يَقْدُمُهُمُ الصحابيُّ الجليلُ معاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنَّه وليُّ ذلك والقادِرُ عليه.

وهذا جُهْدُ مُقِلٍّ، على الكمالِ غيرُ مُطِلٍّ، وصلَّى اللَّهُ وسَلَّمَ على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ما ضاءَ بَدْرٌ وهَلَّ.

وَكَتَبَ

محمَّد بن فلاح بن مشعان المطيري

غفر اللَّهُ له ولوالدَيه وللمسلمين

الخميس ٦/ ٥/ ١٤٢٥هـ

الموافق ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٤م

الكويت - صباح الناصر

ترجمة موجَزة للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ

* **اسمه**: هو الشيخ العلَّامة الحَبْر البحر المفسِّر الفقيه اللُّغويُّ المدقِّق الأصوليُّ الزاهد الوَرِع الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن صالح بن محمد بن سليمان ابن عبد الرحمن بن عثمان الوهيبيُّ التميميُّ، وعثمان هذا أُطْلِقَ عليه (عثيمين) فاشتُهِرَ به.

* **مولده**: وُلِدَ الشَّيخُ في مدينة عنيزة إحدى مُدُنِ القصيم في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارَك عام ١٣٤٧هـ.

* **نشأته وشيوخه**: نشأ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، فقد تتلمذ ابتداءً على جده من جهة أُمِّه الشَّيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن أشهر شيوخه وأكثرهم فقهاً وعلماً وأكثرهم ملازمةً له علامةُ القصيم المفسِّر الفقيه الأصولي الشَّيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ أخذ عنه كثيراً من العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير ولغة، ودرس أيضاً على يد سماحة الشَّيخ العلامة عبد العزيز بن عبد اللَّه آل باز رَحِمَهُ اللَّهُ وكثيرٍ من علماء الحرمين ونجد والقصيم.

* **من صفاته**: رُزِقَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكاءً وزكاءً وهمَّةً عاليةً في تحصيل العلم ومزاحمة الرُّكَب عند العلماء في حِلَقِ العلم، وكان منذ بداية طلبه للعلم مشغولًا بالتحصيل واغتنام الوقت وصرفه في المطالعة والمكوث الطويل في المكتبات.

وعُرِفَ رَحِمَهُ اللَّهُ بالصدق والأمانة والزهد والإعراض عن الدنيا، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ

حسنَ الخُلُقِ، كريمَ اليدِ، ليِّنَ الجانبِ، وعنايةُ الشَّيخ بطلبة العلم ومعاملته لهم خيرُ شاهدٍ على بَذْلِه للعلم وحرصِه على بثِّه بينهم، فكان يعقد الدروسَ لهم، ويسأل عـــن غائبهـــم، ويعود مريضَهم، ويُعين مَن كان محتاجاً منهم، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ آمِراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مُتمسِّكاً بسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، مستقيماً على طاعة اللَّه.

* **تلاميذه**: لمَّا اشتُهِرَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بسعة العلم والتبحُّر في المسائل الشرعية؛ حرص طلابُ العلم على التوافد عليه من كل مكان والأخذ عنه، وقد أخذ طلابُه أثناء حياته وبعد وفاته ينشرون العلمَ الذي اقتبسوه منه رَحِمَهُ اللَّهُ في بلدانهم التي جاؤوا منها.

ولكثرة طلابه ولوَجازَة هذه الترجمة؛ لا يمكن ذكرُهم أو بعضٍ منهم، ويُرجَع في ذلك إلى كتاب «الجامع لحياة العلَّامة محمد بن صالح العثيمين» لمؤلِّفه: وليد بن أحمد الحسين، وكتاب «الدُّرُّ الثمين في ترجمة فقيه الأُمَّة العلَّامة ابن عثيمين» لمؤلِّفه: عصام بن عبد المنعم المري.

* **بعض المناصب التي تقلَّدها**: كان رَحِمَهُ اللَّهُ عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومحاضِراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وكان مِمَّن يجلس في الحرم المكيّ في شهر رمضان للتدريس والإفتاء، وعُرِضَ عليه القضاءُ فطلب الإعفاءَ منه لِوَرَعِه رَحِمَهُ اللَّهُ.

* **مؤلفاته**: أَثْرَىٰ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ المكتبةَ الإسلاميةَ بالعديد من الكتب والمصنَّفات التي لا يَستغني عنها أيُّ طالب علم، ومؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ تربو على مِئَةِ مُصَنَّفٍ ما بين شرحٍ ومختصَرٍ وكُتَيِّبٍ ورسالةٍ، بَلْهَ الشروحَ المسجَّلَةَ في مئات الأشرطة، فمنها على سبيل الذِّكر لا الحصر:

١- الشرح الممتع على زاد المستقنع.

٢ - شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- القواعد المثلى في صفات اللَّه وأسمائه الحسنى.

٤- القول المفيد شرح كتاب التوحيد للمجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الأصول من علم الأصول.

٧ - المنهج لمُريد الحج والعمرة.

٨- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ.

٩- حقوق دَعَتْ إليها الفطرةُ وقرَّرتها الشريعةُ.

١٠- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

* **وفاته**: تُوُفِّيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ يومَ الأربعاء ١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ الموافق ١٠/ ١/ ٢٠٠١م بمدينة جدَّة في المملكة العربية السعودية إِثْرَ مَرَضٍ أَلَمَّ به، وصُلِّيَ عليه في الحَرَمِ المكيِّ، ودُفِنَ بمكَّةَ المكرَّمةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً.

* * *

مقدّمة المؤلِّفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للَّهِ الذي قَصَرَتْ عبارةُ البُلَغاءِ عن الإحاطةِ بمعاني آياتِهِ، وعَجَزَتْ أَلْسُنُ الفُصَحاءِ عن بيانِ بدائعِ مصنوعاتِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن مَلَكَ طَرَفَي البلاغةِ إطناباً وإيجازاً، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الفاتِحين بهديِهم إلى الحقيقةِ مَجازاً[1].

وبعدُ، فهذا كتابٌ في فنونِ البلاغةِ الثلاثةِ، سَهْلُ المَنالِ، قريبُ المَأْخَذِ، بريءٌ مِن وَضْمَةِ التطويلِ المُمِلِّ، وعَيْبِ الاختصارِ المُخِلِّ، سَلَكْنا في تأليفِه أسهلَ التراتيبِ، وأوضحَ الأساليبِ، وجَمَعْنا فيه خُلاصةَ قواعدِ البلاغةِ؛ وأُمَّهاتِ مسائِلِها، وتَرَكْنا ما لا تَمَسُّ إليه حاجةُ التلاميذِ مِن الفوائدِ الزَّوائِدِ؛ وُقوفاً عند حَدِّ اللَّازِمِ، وحِرْصاً على أوقاتِهم أن تَضيعَ في حَلِّ مُعَقَّدٍ، أو تلخيصِ مُطَوَّلٍ، أو تكميلِ مُخْتَصَرٍ، فَتَمَّ به مع كُتُبِ الدروسِ النَّحْويةِ سُلَّمُ الدراسةِ العربيةِ في المدارسِ الابتدائيةِ والتجهيزيةِ.

والفضلُ في ذلك كلِّه للأميرَيْن الكبيرَيْن نُبْلًا، والإنسانَيْن الكاملَيْن فَضْلًا، ناظرِ المعارف، المتجافي عن مِهادِ الراحةِ في خدمة البلاد، الواقفِ في مَنْفَعَتِها على قَدَمِ الاستعداد، صاحبِ العُطوفَةِ: محمَّد زكي باشا، ووكيلِها ذي الأيادي

قال الشيخُ العلَّامةُ اللُّغويُّ محمدُ بنُ صالحٍ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) بسم اللَّه الرحمن الرحيم، مثل هذا الأسلوب يُسمِّيه العلماءُ «**بَراعَة الاستفتاح**»، يعني: أنَّ الإنسانَ يَسْتَفْتِح بكلام يدلُّ على الموضوع، فهنا يقول: «**عبارة البُلَغاء**» إشارةٌ إلى هذا الفن: هو علم البلاغة والفصاحة، وقال أيضاً: «**عن بيان بدائع مصنوعاته**» بدائع: [إشارة إلى] علم البديع؛ لأنَّ هذا الفنَّ يعود على هذا الشيء.

البيضاءِ في تقدُّمِ المعارفِ نحوَ الصِّراطِ المُستقيمِ، وإدارةِ شؤونِها على المِحْوَرِ القويمِ، صاحبِ السعادةِ: يعقوب أرتين باشا، فهما اللَّذان أشارا علينا بوضعِ هذا النظامِ المفيدِ، وسلوكِ سبيلِ هذا الوضعِ الجديدِ.

حِفْني ناصف محمَّد دياب سلطان محمَّد مصطفى طمُّوم

* * *

مقدِّمةٌ

في

الفصاحة والبلاغة

مُقَدِّمَةٌ في الفصاحةِ والبَلاغَةِ

الفصاحةُ في اللُّغة تُنبِئُ عن البيانِ والظُّهورِ. يقال: «أَفْصَحَ الصَّبِيُّ في مَنْطِقِه» إذا بانَ وظَهَرَ كلامُه.

وتَقَعُ **في الاصطِلاحِ** وَصْفاً للكلمةِ، والكلامِ، والمُتَكَلِّمِ[١].

١- **ففصاحةُ الكلمةِ**: سلامتُها مِن تنافُرِ الحروفِ، ومخالَفةِ القياسِ، والغرابةِ[٢].

أ- **فتنافُرُ الحروفِ**: وَصْفٌ في الكلمة يُوجِبُ ثِقْلَها على اللِّسانِ، وعُسْرَ النُّطقِ بها، نحو: «الظَّشّ» للموضع الخَشِن، و«الهُعْخُع»[٣] لنباتٍ ترعاه الإبلُ،

---

(١) إذاً موضوع الفصاحة ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلِّم، كلٌّ منها يقال: «فصيح»، وفسَّرَها المؤلِّفُ.

(٢) **سلامتها من ثلاثة أمور:**

الأول: تنافُر الحروف: يعني بأن تكون حروفُها متآلِفةً غيرَ مُتَناكِرَة، **والتآلُف**: أن يَسْهُلَ النُّطقُ بها مُجْتَمِعَةً، **والتنافُر**: أن يَصْعُبَ النُّطقُ بها مُجْتَمِعَةً.

الثاني: مخالَفة القياس: يعني القياس النَّحْوِيّ، فما خالَفَ القياسَ النَّحْوِيَّ أو الصَّرْفِيَّ فإنَّه غيرُ فصيح.

الثالث: [الغرابة].

(٣) هذه فيها تنافُرُ حروفٍ؛ لأنَّه يَصْعُبُ النُّطقُ بها؛ إذ أنَّ كلَّ حرفٍ لا يَتلاءَمُ بما بعده، «الظَّشُّ» أهونُ منها، يعني (الظَّشّ) ليس فيه تنافُرٌ كثيرٌ(*).

(*) وهذه إشارةٌ منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن الثِّقَل الناتج عن تنافر الحروف ينقسم إلى قسمين:
١- ثِقَل شديد. ٢- ثِقَل خفيف.

و«النُّقَاخ» للماء العَذْب الصَّافي، و«المُسْتَشْزِر» للمَفْتُول[١].

ب- **ومخالَفةُ القياسِ**: كونُ الكلمةِ غيرَ جاريةٍ على القانونِ الصَّرْفِيِّ(*)، كجَمْعِ «بُوق» على «بُوقَات» في قولِ المُتَنَبِّي [الطويل]:

فإنْ يَكُ بعضُ الناسِ سَيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بُوقَاتٌ لها وطُبُولُ

إذِ القياسُ في جَمْعِه للقِلَّةِ: «أَبْوَاق»، وكـ «مَوْدِدَة» في قوله [الرَّجَز]:

إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ ما لِيَ في صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدِدَهْ

والقياس: «مَوَدَّة» بالإدغام[٢].

ج- **والغَرابَةُ**: كونُ الكلمةِ غيرَ ظاهرةِ المعنى، نحو: «تَكَأْكَأَ» بمعنى: اجتَمَعَ، و«افْرَنْقَعَ» بمعنى: انْصَرَفَ، و«اطْلَخَمَّ» بمعنى: اشْتَدَّ[٣].

---

(١) هذه كلُّها كلمات متنافرة، لكن «النُّقَاخ» ليس فيه تنافر إلى ذاك، إلَّا أنَّها كلمةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ، بمعنى أنَّ النَّفْسَ لا ترتاح لها، فالماء الصافي العَذْب لا ينبغي أن يُوصَفَ بهذا الوصف.

(٢) إذاً الفرق في موضع الإدغام يُعتبَر غيرَ فصاحةٍ لِمخالَفة القياس، كذلك «أبواق» إذا قال «بوقات» فهذا مخالِف للقياس؛ لأنَّ القياسَ أن يُجمَع على «أبواق» لا على «بوقات».

(٣) يعني لو قال إنسان: «اليومَ اطْلَخَمَّ الحرُّ» يعني: اشْتَدَّ، هذا غريب، يعني غير معهود أن يُعبَّر بكلمة «اطْلَخَمَّ» عن «اشْتَدَّ»، كذلك «تَكَأْكَأَ» بمعنى: اجْتَمَعَ، وهذا أيضاً غريب، فإذا عبَّر الإنسانُ عن «اجْتَمَعَ» بـ «تَكَأْكَأَ» قيل: الكلام غير فصيح لغرابة الكلمة.

إذاً:

١- تنافر الحروف في الكلمة يُعَدُّ غيرَ فصاحة.

٢- كونها على خلاف القياس - كالفَكِّ في موضع الإدغام - أيضاً غيرَ فصيح؛ لأنَّها مخالِفةٌ للقياس. =

(*) ويُستثنَى من ذلك: ما استُثنِيَ من القواعد الصرفية وهو مخالِف للقياس، فيُعَدُّ فصيحاً، مثل: «مسجِد» بكسر الجيم، والقياس فتحها؛ لأنَّ مضارعَه مضمومُ العين فيكون على وزن «مَفْعَل»، ولكن هكذا نطقت به العربُ.

٢- **وفصاحةُ الكلامِ**: سلامتُه مِن تنافُرِ الكلماتِ مُجْتَمِعَةً، ومِن ضَعْفِ التأليفِ، ومِن التعقيدِ(*)، مع فصاحةِ كلماتِه.

أ- **فالتنافُرُ**: وَصْفٌ في الكلام يُوجِبُ ثِقَلَه على اللِّسان وعُسْرَ النُّطقِ به، نحو [الكامل]:

... ... **في رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلُكَ يَشْرَعُ**

[الرَّجَز]:

... ... **وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ**(١)

= ٣- غرابتها بحيث لا تُستعمَل إلا قليلًا، غير فصيحة لغرابتها.

يقول الحريري في مقاماته(**) رَحِمَهُ اللَّهُ [البسيط]:

وطالما مَرَّ بي كلبٌ وفي فَمِهِ ثَوْرٌ ولكنَّه ثَوْرٌ بلا ذَنَبِ

ما الذي يُفهَم من هذا؟، الثَّوْر: هو قُرْصُ البَقْلِ، هذا يُسمَّى ثَوْراً في اللغة العربية، لكنِ التعبيرُ عنه بكلمة «ثَوْرٍ» غريبٌ، فيُعتبَر هذا غيرَ فصيحٍ(***).

(١) الآن لو نَظَرْنا إلى الكلمات: «عَرْش» و«شَرْع» و«يَشْرَع» [لَوَجَدْناها] كلماتٍ غيرَ متنافِرةٍ =

(*) وأيضاً: سلامته من **تتابُع الإضافات**: وهو كون الاسم مضافاً إضافةً متداخِلةً غالباً، كقوله [الطويل]:

حمامةَ جَرْعا حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسجِعي فأنتِ بمَرْأَى مِن سُعادَ ومَسْمَعي

(**) انظر: «المقامة الشَّتَوِيَّة».

(***) سُئِلَ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: الأبيات التي ذُكِرَتْ وما فيها من غرابةٍ وخلافِ الفصاحةِ قد تكون في زمن الناظم أو الشاعر فصيحةً مقبولةً...

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس على كل حال، ولا عبرة بالحال العارِضة، وأحياناً المتكلِّم أو الناظم يأتي بالغرابات لأجل أن يجتهد الناسُ في الوصول إلى معنى الكلام، أو ليقال: إنَّه رجل فصيح له اطلاع قويّ في اللغة العربية.

الطالب: يا شيخ! قد يكون في كلام النبي ﷺ بعض الألفاظ الغريبة، حتى ألَّف العلماءُ كتابَ غريب الحديث، فهل نقول: هذا خلاف الفصاحة؟

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ ما أتى بهذه الكلمة الغريبة إلا في مَحَلِّها.

[الطويل]:

كريمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرَى معي، وإذاما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي[١]

ب- **وضَعْفُ التأليفِ**: كَوْنُ الكلامِ غيرَ جارٍ على القانونِ النَّحْوِيِّ المشهورِ[٢]، كالإضمار قبل الذِّكْرِ لفظاً ورُتبةً في قولِه [البسيط]:

جَزَى بَنُوهُ أبا الغَيْلانِ عَنْ كِبَرٍ وحُسْنِ فِعْلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ[٣]

= الحروفِ، لكنْ جَمْعُ بعضِها إلى بعضٍ يُوجِبُ التنافرَ، فيكون عدمُ الفصاحةِ في الكلام، كذلك أيضاً كلمة «قبر» و«قُرْب» ليس فيها تنافر بالنسبة للكلمة الواحدة، لكنْ بالنسبة لِضَمِّ الكلماتِ بعضها إلى بعضٍ يكون تنافر، فيقال: الكلام غير فصيح لتنافر كلماته.

(١) هذا البيت قويُّ المعنى، يعني: «أنّي إذا مدحتُ فالورى كلُّهم يمدحونه، وإذا لُمْتُ لم يَلُمْه أحدٌ»، البيت قويٌّ جِدّاً في الثناء على الممدوح، لكنّه من جهة البلاغة غيرُ فصيح؛ لأنَّ كلماتِهِ متنافِرةٌ.

(٢) إنْتَبِهْ لكلمة «المشهور»، لو كان غيرَ جارٍ على القانونِ النَّحْوِيِّ المُتَّفَقِ عليه فهذا لا يَصلُحُ أصلًا، فلا يقال: إنَّه كلامٌ غيرُ فصيح، بل يقال: إنَّه غيرُ كلام وغيرُ صحيح، مثلًا لو قال: «قام زيداً» هذا غيرُ جارٍ على القانونِ؛ القانونُ برفع «زيد»، لكن هل هذا القانون مُجْمَعٌ عليه أو مُخْتَلَفٌ فيه؟ مُجْمَعٌ عليه، إذاً هذا يُعَدُّ كلاماً فاسداً، لا يقال: إنَّه كلامٌ غيرُ فصيح، بل يقال: إنَّه كلامٌ فاسدٌ، تركيبٌ لا تُجيزُه اللُّغةُ بأيِّ حالٍ من الأحوال.

(٣) أمّا عَوْدُ الضميرِ على متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً فهذا فيه خلاف: هل هو جائز أو لا؟، فلذلك كان عَوْدُ الضميرِ إلى متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً يَجْعَل الكلامَ غيرَ فصيح؛ لأنَّه غيرُ جارٍ على القانونِ المشهورِ.

«بَنُوهُ أبا الغَيْلان»: بَنُوهُ: الهاء متصِلَةٌ بالفاعل، وهي تعود على المفعول به، فهي عائدة على متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً، وهذا مخالِفٌ للقانونِ المشهورِ، إذْ أنَّ المشهورَ أنَّ الضميرَ لا يعود على متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً كما مرَّ علينا ذلك في أصول التفسير.

«عن كِبَرٍ» يعني: إذا كَبِرَ وتقدَّمَتْ به السِّنُّ.